الفصل الثالث والعشرون

عرض أدلة الشيعة من السنة النبوية على صحة نظرية الإمامة

على مدى الفصول السابقة، نظرنا في أمر الإمامة في ضوء القرآن الكريم، وهو المصدر الأول للهداية والتشريع عند المسلمين جميعا، سنة وشيعة، ومحَّصنا أدلة علماء الشيعة، فوجدناها تفتقد الدليل الواضح البين من كتاب الله عز وجل.

وبعد سنوات محاورة علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية، والاطلاع على كتبهم ومراجعهم، وجدت أنهم يواجهون المشكلة نفسها في تعاملهم مع الحديث النبوي الشريف، فهم لا يجدون نصاً واحداً صريحاً يقول إن الحكم والإمامة لسيدنا علي ﷺ من بعد الرسول ﷺ، فيعمدون إلى عرض الأحاديث في فضائل سيدنا علي ومناقبه، وهي واردة أصلا في كتب الحديث في باب ذكر فضائل الصحابة، ثم يقولون إن هذه الأحاديث دليل على الإمامة وصحة مذهب التشيع.

كما أنهم يتجاهلون بعض الأحاديث الصحيحة التي تدل على أن

النبي ﷺ لم يعهد بالحكم لأحد من أصحابه بعده، ويتجاهلون أقوالا صريحة وردت في "نهج البلاغة" للإمام علي رضي الله عنه في أن أمر الإمامة شورى بين المهاجرين والأنصار، وأنه لم يكن راغبا في الإمامة، ويفضل عليها الوزارة.

أدلة مركز الأبحاث العقائدية

ولنبدأ المناقشة بعرض الأدلة التي يستشهد بها علماء الشيعة من أحاديث النبي ﷺ ويستدلون بها على صحة مذهبهم.

حديث المنزلة

ورد في باب الأسئلة العقائدية وأجوبتها، في موقع مركز الأبحاث العقائدية، في معرض الجواب عن سؤال نصه: ما هو الدليل على أحقية الإمام علي بالخلافة دون سواه؟ جاء ما يأتي من أدلة المركز المستندة إلى أحاديث النبي ﷺ.

"أ. حديث المنزلة، وهو قول الرسول ﷺ لعلي عليه السلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي). وهو من الأحاديث المتواترة فقد رواه جمهرة كبيرة من الصحابة.

ومصادره كثيرة، أيضا نذكر منها :

١. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ج٥/ص١٢٩، دار الفكر .

٢. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ج٥/ص٣٠١/ح٣٨٠٨ دار الفكر .

٣. مسند أحمد بن حنبل، ج٣/ص٥٠/ح١٤٩٠ .

٤. سنن ابن ماجة، ج١/ص٤٢/ح١١٥، دار إحياء الكتب .

٥. تاريخ الطبري، ج٣/ص١٠٤ .

وتركنا الكثير للاختصار .

ودلالته على ولاية علي عليه السلام وإمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله واضحة إذ أن هارون كان خليفة لموسى - عليهما السلام - ونبياً، وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وآله المنزلة نفسها لعلي عليه السلام باستثناء النبوة، فدلّ ذلك على ثبوت الخلافة له عليه السلام.

حديث الغدير

ب. حديث الغدير، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع حينما قام في الناس خطيبا في غدير خم ـ من خطبة طويلة ـ ثم قال : (يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا مولاه ـ يعني علياً ـ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...).

وقد روى هذا الحديث جمهرة كبيرة من الصحابة وأورده جمع كبير من الحفاظ في كتبهم وأرسلوه إرسال المسلمات، وإليك بعض المصادر :

١. الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيثمي المكي الشافعي، ص٢٥، ط الميمنية بمصر .

٢. كنز العمال للمتقي الهندي ، ج١/ص١٦٨/ح٩٥٩، ط ٢ .

٣. تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ، ج٢/ص٤٥/ح٥٤٥، ترجمة الإمام علي عليه السلام .

٤. صحيح مسلم ، ج٢/ص٣٦٢ ، ط عيسى الحلبي بمصر (قريب منه).

ودلالة الحديث على خلافة وولاية علي عليه السلام واضحة ، فلا يمكن حمل الولاية على معنى المحب والصديق وغيرهما لمنافاته للمطلوب بالقرائن الحالية والمقالية، أما المقالية: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر ولاية علي عليه السلام بعد ولاية الله وولايته، ثم جاء بقرينة واضحة على أن مراده من الولاية ليس هو الصديق والمحب وما شابه ذلك حيث قال : (وأنا أولى بهم من أنفسهم) فهي قرينة تفيد ان معنى ولاية الرسول وولاية الله تعالى هو الولاية على النفس فما ثبت للرسول صلى الله عليه وآله يثبت لعلي عليه السلام وذلك لقوله: (من كنت مولاه فهذا مولاه). وأما الحالية: فإن أي إنسان عاقل إذا نعيت إليه نفسه وقرب أجله تراه يوصي بأهم الأمور عنده وأعزها عليه. وهذا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله حينما حج حجة الوداع، حيث جمع المسلمين وكانوا أكثر من مئة ألف في يوم الظهيرة في غدير خم ويخطبهم تلك الخطبة الطويلة بعد أن أمر بإرجاع من سبق وانتظار من تأخر عن الخير و بعد أمره لتبليغ الشاهد الغائب . كل هذا فعله الرسول صلى الله عليه وآله ليقول للناس إن علياً محب لكم صديق لكم، فهل يليق بحكيم ذلك؟

وهل كان خافيا على أحد من المسلمين حب علي للإسلام والمسلمين ؟ وهو الذي عرفه الإسلام بإخلاصه وشجاعته وعلمه وإيمانه .

أم ان ذلك يشكل قرينة قطعية على أنه صلى الله عليه وآله وسلم جمعهم لينصب بعده خليفة بأمر الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧) .

وهنالك أدلة كثيرة أعرضنا عنها بغية الاختصار". (انتهى النقل). المصدر في شبكة الإنترنت:

http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=75&qid=1419

دليل إضافي من صاحب "أصل الشيعة وأصولها"

وقد استشهد محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه "أصل الشيعة وأصولها". بمعظم الأدلة التي تضمنها النص السابق لمركز الأبحاث العقائدية، كما قدم دليلاً إضافياً لإثبات صحة نظرية الإمامة.

قال صاحب "أصل الشيعة وأصولها": "إنَ أول مَنْ وضع بذرة التشيُّع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية ، يعني أنَّ بذرة التشيَّع وضعت مع بذرة الإسلام ، جنباً إلى جنب ، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وأزهرت في حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته .

وشاهدي على ذلك نفس أحاديثه الشَّريفة، لا من طرق الشِّيعة

ورواة الإمامية ، حتى يُقال : إنَّهم ساقطون لأنهم يقولون (بالرجعة) أو أنَّ راويهم (يجر إلى قرصه) بل من نفس أحاديث علماء السنَّة وأعلامهم ، ومن طرقهم الوثيقة التي لا يظن ذو مسكة فيها الكذب والوضع ، وأنا أذكر جملة ممّا علق بذهني من المراجعات الغابرة، والتي عثرت عليها عفواً من غير قصد ولا عناية .

فمنها : ما رواه السيوطي في كتاب (الدر المنثور في تفسير كتاب الله بالمأثور) في تفسير قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾. قال : أخرج ابن عساكر: عن جابربن عبدالله قال : كنّا عند النَّبي ﷺ فاقبل عليٌّ عليه السلام فقال النَّبي : « والَّذي نفسي بيده إنَ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ». ونزلت : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ .

وأخرج ابن عدي : عن ابن عبّاس قال : لما نزلت : (إنَّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ) قال رسول الله ﷺ (لعلي) عليه السلام : « هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ».

وأخرج ابن مردويه : عن علي عليه السلام قال : « قال لي رسول الله ﷺ: ألم تسمع قول الله : (إنَّ الّذينَ امَنُوا وَعَملوا الصّالِحاتِ اُولئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيّةِ) أنتَ وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض ، إذا جاءت الأمم للحساب تُدعون غرّاً محجَّلين». انتهى حديث السيوطي. (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦: ٣٧٩).

وروى بعض هذه الأحاديث ابن حجر في (صواعقه) عن

الدارقطني، حدّث أيضاً عن أمِّ سلمة أنَّ النَّبي ﷺ قال : « يا علي أنت وأصحابك في الجنَّة ». (الصواعق المحرقة : ٩٦).

وفي (نهاية ابن الأثيم ما نصه في مادة (قمح) : وفي حديث علي عليه السلام قال له النَّبي ﷺ : « ستقدم على اللّه أنتَ وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمَّحين»، ثم جمع يده إلى عنقه ليريهم كيف الأقماح (٣) . انتهى (النهاية ٤ : ١٠٦)

وببالي أنَّ هذا الحديث أيضاً رواه ابن حجر في (صواعقه) وجماعة آخرون من طرق أُخرى تدل على شهرته عند أرباب الحديث. (راجع: كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة للسيد مرتضى الحسيني، وكتاب إحقاق الحق وإزهاق الباطل للسيد التستري، وغيرهما من المصادر المختصة بإيراد هذه الأحاديث الواردة في كتب العامة، حيث تجد الكثير الكثير من هذه الروايات وبطرقها المختلفة).

والزمخشري في (ربيع الأبرار) يروي عن رسول اللّه ﷺ أنَّه قال: « يا علي، إذا كان يوم القيامة أخذتُ بحجزة اللّه تعالى، وأخذتَ أنت بحجزتي ، وأخذ وُلْدكَ بحجزتك ، واخذ شيعة ولْدِكَ بحجزتهم ، فترى أين يؤمر بنا». (ربيع الأبرار ١ : ٨٠٨)

ولو أراد المتتبع (لـ) كتب الحديث ، مثل : مسند الامام أحمد بن حنبل ، وخصائص النسائي ، وأمثالهما أنْ يجمع أضعاف هذا القدر لكان سهلاً عليه .

وإذا كان نفس صاحب الشريعة الاسلامية ﷺ يُكرر ذكر شيعة

علي عليه السلام ويُنوه عنهم بأنَّهم هُمُ الآمنون يوم القيامة ، وهم الفائزون والراضون المرضيون ، ولا شك أنَّ كلَّ معتقد بنبوته يصدقه فيما يقول، وأنَّه لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى (إشارة إلى قوله تعالى في حق رسوله الكريم مُحَمَد صلى الله عليه وآله في سورة النجم (٥٣: ٣ـ ٤) : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى × إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحيٌ يُوحى) ، فإذا لم يصر كلّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله شيعة لعلي عليه السلام فبالطبع والضرورة تلفت تلك الكلمات نظر جماعة منهم أن يكونوا ممَّن ينطبق عليه ذلك الوصف بحقيقة معناه ، لا بضرب من التوسّع والتأويل.

نعم، وهكذا كان الأمر ، فإنَّ عدداً ليس بالقليل اختصوا في حياة النبي صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام ولازموه ، وجعلوه إماما مبلِّغاً عن الرسول ، وشارحاً ومفسِّراً لتعاليمه ، وأسرار حكَمه وأحكامه، وصاروا يُعرفون بأنّهم شيعة علي (عليه السلام) كعَلَم خاص بهم كما نصَّ على ذلك أهل اللغة . راجع النهاية ولسان العرب وغيرهما تجدهم ينصّون على أنَّ هذا الاسم غلب على أتباع علي عليه السلام وولده ومن يواليهم ، حتى صار اسماً خاصاً بهم". (انتهى النقل. المصدر: أصل الشيعة وأصولها: ٤٤-٤٧)

الدليل القطعي من السنة على نظرية الإمامة معدوم

بعد الفراغ من نقل أدلة علماء الشيعة من الحديث النبوي الشريف على صحة نظرية الإمامة، نجد أنفسنا في مواجهة السؤال الحاسم:

هل في هذه الأحاديث كلها نص صريح ثابت من الرسول صلى الله عليه وآله يقول فيه للمسلمين إن الحكم والإمامة من بعده لسيدنا علي، ثم للحسن والحسين، رضي الله عنهم، ثم لتسعة من ذرية الحسين؟

الجواب واضح جدا. لا يوجد مثل هذا الحديث، ويوجد ما يعارضه تماما.

مركز الأبحاث العقائدية ينسب للإمام مسلم رواية لم يخرجها في صحيحه

وهناك أيضا مسألة أخرى أشرنا إليها في الفصول السابقة وتواجهنا هذه المرة أيضا وهي مسألة الأمانة والصدق في النقل. إن مركز الأبحاث العقائدية يروي حديث الغدير بهذه الصيغة: "حديث الغدير، وهو قول رسول الله ﷺ في حجة الوداع حينما قام في الناس خطيبا في غدير خم - من خطبة طويلة - ثم قال: (يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا مولاه - يعني علياً - اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...)".

يروي المركز الحديث بهذه الصيغة ويقول: إن ممن أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والواقع أن هذا غير صحيح، كما بينا الأمر في الفصل التاسع عشر من الكتاب. رواية الإمام مسلم هي عن زيد بن أرقم، والنص المنسوب فيها لرسول الله ﷺ هو: ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي".

الفرق بين الروايتين كبير جدا. وأخلاق الإسلام لا تجيز نسبة رواية للإمام مسلم لم يروها في صحيحه. ومبادئ الأمانة العلمية تنهى عن ذلك أيضا.

ومن يصنع مثل هذا الصنيع يسقط حجته وعدالته ويقلل كثيرا من أهليته للحديث عن حقيقة الإسلام والفهم الصحيح لتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأواصل في الفصل المقبل إن شاء الله تعالى.